## الدرس السادس

### تفسير سورة القلم

هي ثاني سور جزء تبارك، وسميت بهذا الاسم لورود لفظ القلم فيها، {ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ} [القلم:١] وهي سورة مكية تتضمن ما تتضمنه السور المكية مما يتعلق بأصل الاعتقاد وإثبات المعاد والنبوة وغير ذلك من المباحث العقدية التي اعتنى بها القرآن المكي.

ولهذه السورة العظيمة مقاصد متعددة، من أبرزها وأهمها:

١. الانتصار للنبي ﷺ والمؤمنين. ودفع ما نبزه به المشركون من وصفه بالجنون، فإنه قد قال في أول السورة، {مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ} [القلم:٢]، وقال في آخر السورة: {وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ} [القلم:٥١].

٢. الرد على المشركين والمستكبرين وتزييف دعاواهم.

٣. التحذير من فتنة الدنيا وزخرفها ووسوسة النفس كما يتضح ذلك في قصة أصحاب الجنة.

٤. الترغيب في الآخرة، والتصبير لحكم الله.

يقول الله ﷻ: {ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ} [القلم:١]، في القرآن العظيم جملة من السور تفتتح بحرف أو حرفين أو ثلاثة أو أربعة أو أكثر من ذلك، فالحرف مثل: (ن)، و(ق) و(ص)، والحرفان مثل: (حم)، والثلاثة أحرف مثل: (الم)، (الر) والأربعة مثل: (المص)، و(المر)، والخمسة مثل: (حم عسق)، و(كهيعص) فما سر هذه الحروف المقطعة، وهل لها معاني مدركة يمكن الوصول إليها؟



هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله

يورد بعض المفسرين في هذا روايات متعددة في أن المراد بهذا الحرف كذا والمراد بهذا الحرف كذا، ويجهد في تفسيرها، حتى أنهم قالوا إن المراد بـــ (طه، ويس) النبي ﷺ، والصحيح في هذا أن هذه الحروف المقطعة ، ليس لها معنى ولكن لها مغزى.

وقد ذكر الشوكاني -رحمه الله-: أنه لا يصح في تفسير هذه الحروف المقطعة حديث أبدا، فكلما مر بك أن المراد بكذا كذا وأن المراد بكذا كذا فاعلم أنه لا يثبت ولا يصح إلى رسول الله ﷺ فهي حروف من حروف المعجم.

ليس لها معنى ولكن لها مغزى، والمغزى منها تعجيز أرباب الفصاحة وأئمة البيان من العرب الذي يفتخرون بالسجع وبالشعر وبالمعلقات، أن يأتوا بمثل هذا القرآن، فكأنما يقول الله ﷻ لهم: إن هذا القرآن مؤلف من مثل هذه الأحرف، من الألف اللام والميم والصاد والنون والقاف وغير ذلك مما تنطقون به وأنتم أرباب الفصاحة والبلاغة لا تستطيعون أن تأتوا بمثله ولا بعشر سور من مثله ولا بسورة من مثله. وهذا هو الواقع، فإن العرب قاطبة لم يتمكنوا من مضاهاة القرآن، وأدركوا أنه لا سبيل لهم إلى ذلك.

وقد جربوا الكهانة وسجع الكهان والشعر والمعلقات والنثر والنظم ومع ذلك فإنهم عجزوا أن يأتوا بمثله، بل وانبهروا منه، كما يدل على ذلك وقائع كثيرة، فكان معجزة خالدة إلى يوم الدين.

ثم مما يدل على هذا أنه لا يكاد يذكر شيء من هذه الحروف المقطعة إلا ويتبعه إشارة إلى القرآن، تأمل مثلاً: {الم* ذَلِكَ الْكِتَابُ} [البقرة:١-٢]، {المص * كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ} [الأعراف:١-٢] {ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ} [ص:١]، {ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ} [ق:١]، أليس كذلك؟ وهكذا، وها هنا أيضًا إشارة؛ فقد قال: {ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ} [القلم:١]؛ لأن هذا القرآن مسطور في اللوح المحفوظ مكتوب محفوظ.

فهذه الحروف المقطعة ليس لها معنى، ولا يصلح أن يقال لها معنى لا يعلمه إلا الله! أو: الله أعلم بمعناها! فلا يمكن أن يخاطب الله ﷻ عباده بشيء له معنى لا يمكن الوصول إليه، فإن الله تعالى قد قال: {كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ} [ص:٢٩] فكيف يأمرنا بتدبر ما لا سبيل إلى الوصول إلى معناه، {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [يوسف:٢] كيف نتعقل ما لا سبيل إلى العلم بمعناه؟.

فهذا هو خلاصة الكلام فيما يتعلق بالحروف المقطعة، ونجد بإزاء ذلك روايات أقوال متعددة ليس لها زمام ولا خطام وإنما مردها إلى الإسرائيليات، كقول بعضهم: (ن) المراد به الحوت؛ أخذًا من قوله: {وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا} [الأنبياء: ٨٧]، فقالوا: هو حوت عظيم خلقه الله وركبت الأرض من فوقه، ويذكرون في ذلك من الخيالات التي تروى في الكتب الإسرائيلية، ولا تصح ولا يجوز التعويل عليها.

وقيل: (ن)، يراد به الدواة التي يغمس فيها القلم للكتابة، وقيل (ن)، لوح من نور إلى آخر ذلك، وإنما قصدنا التنبيه على أن جميع هذه الأقوال ليست صوابا ولا يعول عليها، بل هو حرف من حروف المعجم ليس إلا، حرف من الحروف الهجائية فقط، ليس له معنى مراد عند الله تعالى، بل له حكمة وله مغزى كما أسلفنا.

قوله: { وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ} [القلم:١] الواو هذه واو القسم، فأقسم الله ﷻ بالقلم، ولله أن يقسم بما شاء من خلقه وليس لخلقه أن يقسموا إلا به، والمراد بالقلم يحتمل أمرين، يحتمل جنس القلم، فإن القلم شريف لأنه أداة العلم؛ ولهذا ذكره الله ﷻ في أول ما أنزل من كتابه فقال: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} [العلق:١-٥]، فيكون



هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله

المراد حينئذ بالقلم جنس القلم الذي هو وسيلة لحفظ العلم ونقله ونشره، فهو شريف بهذا الاعتبار، فلشرفه أقسم الله به.

ويحتمل أن يراد بالقلم قلم القدر الذي جاء ذكره في الأحاديث، قال النبي ﷺ: « إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ القَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَجَرَى بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى الأَبَدِ »[1]، وربما كان عدة أقلام كما جاء في حديث المعراج أن النبي ﷺ بلغ منزلة فوق سدرة المنتهى، سمع فيها صريف الأقلام، أي أقلام القدر، وفي حديثه لابن عباس: « رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ »[2]، يعني أقلام القدر.

ولا مانع من حمل هذه اللفظة على المعنيين، على القلم المخصوص الذي هو قلم القدر وعلى جنس القلم الذي هو أداة لحفظ العلم وسطره.

{وَمَا يَسْطُرُون} وَمَا يَسْطُرُون: إن قلنا أنه هو قلم القدر فالذين يسطرون هم الملائكة، فهم يكتبون، وإن قلنا هو جنس القلم فيتناول كل مكتوب بما فيه أيضًا ما تكتبه الملائكة من أعمال بني آدم، {أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لاَ نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُون} [الزخرف:٨٠].

فعلى هذا يكون وما يسطرون يعني ما يكتبون في السطور، وهذا يدلنا على فضل الكتابة، وأن الكتابة نعمة من الله ﷻ على بني آدم إذ لولا الكتابة لضاع العلم وضاعت الحقوق والحفظ له سبيلان:

السبيل الأول: حفظ في الصدور كما قال الله تعالى: {بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ} [العنكبوت:٤٩].

[1] أخرجه أبوداود- (٤٧٠٠)، والترمذي- (٣٣١٩)، وقال: حديث حسن صحيح غريب.
[2] أخرجه الترمذي- (٢٥١٦)، وأحمد- (٢٦٧٠)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

لكن هذا النوع من الحفظ يضمحل ويذهب مع التقادم في العمر، ألم تروا أن الله تعالى قال: {وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلاَ يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا} [الحج:٥] فإذا بهذه المحفوظات التي تراكمت عبر عقود من الزمن تضمحل وتتلاشى وتفنى، ويعود هذا الشيخ الهرم لا يعلم شيئا مما اقتناه من علوم.

السبيل الثاني: حفظ في السطور. وهو أدوم وأثبت من الحفظ في الصدور، وذلك أن يدون العلم في الكتب والمدونات، ألم تروا أنا نملك علوما مضى عليها قرون مما كتبه المتقدمون، لهذا كان القلم شريفاً.

وجواب القسم {مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ} [القلم:٢]، نفى الله تعالى عن نبيه الجنون الذي وصمه به أعداؤه كما في قوله تعالى: {وَقَالُواْ يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ} [الحجر:٦]، والجنون هو ذهاب العقل فبرأه الله تعالى أيما تبرئة، وقال: {مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ}، ونعمة ربه النبوة، يعني ليس ما جئت به من النبوة والحكمة جنونا، والحكمة: هي السنة، فليس ما يخرج من فيك جنون، {وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى*إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى} [النجم:١-٥].

فكل ما فاه به النبي ﷺ فهو إما وحي، وإما حكمة، وقد يكون المراد بقوله: {بِنِعْمَةِ رَبِّكَ} من فضل الله عليك، كما يقول أحدنا: ما أنا بحمد الله بكذا وكذا، ما أنا بفضل الله بكذا وكذا، فيكون ذلك نوعا من الجملة الاعتراضية التي يراد بها التنويه بالنعم، كقول الشاعر:

فإني -بحمد الله- لا ثوب ذلة *** لبست ولا من ربية أتقنعَّ



هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله

فهذا وهذا كلاهما محتمل، وقد يراد بالنعمة خصوص النعمة عليه ﷺ، بالنبوة والحكمة، وأما أن يكون ذلك عموم النعمة التي أنعمها الله ﷻ عليه فعصمه من الاتصاف بالجنون والسفه وغير ذلك من أوصاف السوء التي ينبزه بها المشركون، وحسبك من تبرئة تصدر من رب العالمين للنبي ﷺ.

فكل من وصمه بهذا الوصف فكلامه مردود عليه، فإن الله خالقه قد امتن عليه بكمال العقل ووفور الحكمة وسداد الرأي والقول والعمل بأبي هو وأمي ﷺ.

{وَإِنَّ لَكَ لأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُون} أتى بكلمة (أجر) نكرة مما يدل على طلاقته وعدم تخصيصه، (غَيْرَ مَمْنُون)، غير منقطع ولا ناقص، ولا يقال لا منة فيه لأن المنة لله تعالى قطعا، الله ﷻ له المنة على جميع عباده، والمقصود بقوله: غَيْرَ مَمْنُون كما في سورة التين وكما في سورة الانشقاق أي غير مقطوع كما قال أيضًا في سورة هود: عطاء غير مجذوذ، يعني غير منقطع، وغير منتقص، فكل ذلك لنبينا ﷺ.

ثم قال له ربه: {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيم} [القلم:٤] لم يقل: وإنك لذو خلق عظيم، بل قال: لعلى، فأتى بلفظ يدل على الاستعلاء والتمكن كأنما هو أحاط به، وتأمل وقع هذه الآيات على نبينا ﷺ الذي يعاني من كفار قريش ما يعانيه وهم يؤذونه في نفسه وبدنه ويقذفونه بأنواع التهم، في حرب نفسية مستعرة عليه ليل نهار، فيأتيه هذا المدد من الله ﷻ لينفس عنه ما يجد فيقول له ربه: {مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُون * وَإِنَّ لَكَ لأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُون* وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيم}، ما شاء الله، أي أثر تتركه هذه الكلمات الربانية في نفس النبي ﷺ؟.

فما هو ذلك الخلق العظيم الذي كان عليه النبي ﷺ؟.

هذا يحتمل أمرين لا تعارض بينهما، الأمر الأول: أن ذلك الخلق هو الدين والإسلام، فإن الله ﷻ قد أوحى إليه الكتاب والحكمة، وقال: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيم} [الشورى:٥٢]. فذلك هو الخلق العظيم، ويدل عليه حديث عائشة رضي الله عنها حين سُئلت عن خلق النبي ﷺ قالت: "كان خلقه القرآن"[١]، يعني أنه يمتثل أوامره ويجتنب نواهيه، يأتمر بأمره، وينتهي عن نهيه، فهذا هو خلقه وهذا هو هديه وهذا هو سمته، فقد تمثل القرآن بالأوامر والمناهي، فصار القرآن خلقه وسجيته، الدين كله خلق، ولهذا قال ابن القيم رحمه الله: الدِّينُ كُلُّهُ خُلُقٌ. فَمَنْ زَادَ عَلَيْكَ فِي الْخُلُقِ: زَادَ عَلَيْكَ فِي الدِّينِ[٢]. وفي بعض سياقات حديث عائشة رضي الله عنها لما سئلت عن خلق النبي ﷺ قَالَتْ: "كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ، تَقْرَؤُونَ سُورَةَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَتِ: اقْرَأْ: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ} [المؤمنون: ١] ، قَالَ يَزِيدُ: فَقَرَأْتُ: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ} [المؤمنون: ١] إِلَى {لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ} [المؤمنون: ٥] ، قَالَتْ: هَكَذَا كَانَ خُلُقُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .ﷺ"[٣].

المحمل الثاني: أن يراد بالخلق الصفات والأخلاق والطباع والشمائل التي كان عليها النبي ﷺ، ولا ريب أن نبينا ﷺ قد بلغ الذروة والغاية في هذا الباب، يقول الله ﷻ: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ

[١] أخرجه أحمد- (٢٤٦٠١)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.
[٢] أخرجه ابن القيم- (في كتاب مدارج السالكين٢/ ٢٩٤).
[٣] أخرجه البخاري في الأدب المفرد- (٣٠٨)، ضعفه الألباني في ضعيف الأدب المفرد- (ج١-ص ٤٢). وقولها (كان خلقه القرآن)، ثابت بإسناد صحيح عند الإمام أحمد.



هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله

وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِين} [آل عمران:١٥٩].

فكان على الغاية ﷺ في دماثة الخلق والصبر والسماحة والكرم والشجاعة وحسن العشرة ولين الكلام وطيب المعشر وما شئت من الأخلاق الكريمة.

ومما يروى من شمائله الطاهرة:

عن جابر أن النبي ﷺ قال: « إِنَّ اللهَ بَعَثَنِي لِتَمَامِ صَالِحَ الأَخْلاقِ، وَتَمَامِ مَحَاسِنِ الأَفْعَالِ »[١] وعن البراء قال: (كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا وَأَحْسَنَهُ خَلْقًا، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ البَائِنِ، وَلاَ بِالقَصِيرِ»)[٢]، فهناك تلازم بين حسن الخَلْق وحسن الخُلُق، وليس المقصود بحسن الخلق بالضرورة أن يكون وسيما قسيمًا بل، أن يظهر أثر خُلقه في تباشير وجهه وانطلاق أساريره.

قد تنظر إلى الرجل ويكون دميم الخلقة لكن فيه من البشر والسماحة ما يجعله جميلا، وربما تجد الإنسان الجميل القسيم الوسيم تغشاه قترة وتجد منه نفرة، فهناك تلازم بين حسن الوجه وحسن الخلق كما دل عليه حديث البراء.

وعن أنس بن مالك قال: («خَدَمْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا قَالَ لِي: أُفٍّ، وَلاَ: لِمَ صَنَعْتَ؟ وَلاَ: أَلَّا صَنَعْتَ »)[٣]، من يطيق هذا؟ هذا خادم طوال عشر سنين لم يبدر من النبي ﷺ أن تأفف منه! وأحدنا يتأفف من زوجته ومن ولده، ومن كثير ممن حوله.

[١] أخرجه أحمد- (٨٩٥٢)، وقال الأرنؤوط: صحيح، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد- (٢٧٣)، وصححه الألباني-(في السلسلة الصحيحة- ٤٥).
[٢] أخرجه البخاري- (٣٥٤٩)، ومسلم- (٢٣٤٧).
[٣] أخرجه البخاري (٦٠٣٨) ، ومسلم (٢٣٠٩).

وتأملوا وما قال لشيء صنعته لمَ فعلته، يعني أنه لم يعتب عليه أبدا، ولا لشيء تركته لما تركته، وانظر ذلك في يومياتك! كم مرة تقول لأهلك لمَ فعلتم كذا وكذا؟ لمَ لم تفعلوا كذا وكذا، والنبي ﷺ لا يصدر منه ذلك ولا لخادمه، هذا دليل حسن الخلق، وحتى أنه إذا سمع أهله يلومون أنسًا بشيء قال: (دَعُوهُ، فَلَوْ قُدِّرَ - أَوْ قَالَ: لَوْ قُضِيَ - أَنْ يَكُونَ كَانَ)[1]، بهذا تحصل السعادة.

أما العتب فإنه مجلبة للحزن، وعن أنس، وحسبك به حميم الصلة بالنبي ﷺ قال: (وَكَانَ رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا)[2]، وَلاَ مَسِسْتُ خَزَّةً وَلاَ حَرِيرَةً، أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلاَ شَمِمْتُ مِسْكَةً، وَلاَ عَبِيرَةً أَطْيَبَ رَائِحَةً مِنْ رَائِحَةِ رَسُولِ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)[3].

وعن عبد الله بن عمر (لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاحِشًا وَلاَ مُتَفَحِّشًا، وَكَانَ يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلاَقًا»)[4]، وقال: « خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي»[5].

وعن أنس (أَنَّ امْرَأَةً كَانَ فِي عَقْلِهَا شَيْءٌ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً، فَقَالَ: «يَا أُمَّ فُلَانٍ انْظُرِي أَيَّ السِّكَكِ شِئْتِ، حَتَّى أَقْضِيَ لَكِ حَاجَتَكِ» فَخَلَا مَعَهَا فِي بَعْضِ الطُّرُقِ، حَتَّى فَرَغَتْ مِنْ حَاجَتِهَا)[6].

ومن الناس من إذا تقدم إليه صاحب حاجة وأمسك يده، نفض يده منه، واستنكف

---

[1] أخرجه احمد- (١٣٤١٩)، والضياء في "المختارة" (١٨٣٤)، وقال: وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين.

[2] أخرجه مسلم- (٢٣١٠).

[3] أخرجه البخاري- (١٩٧٣).

[4] أخرجه البخاري- (٣٥٥٩)، وأخرج مسلم أوله- (٢٣٢١).

[5] أخرجه الترمذي- (٣٨٩٥)، وابن ماجه- (١٩٧٧)، وقال الترمذي: حسن صحيح

[6] أخرجه مسلم- (٢٣٢٦).

عن مخاطبته، فضلا عن أن يذهب معه، أو أن يقضي حاجته.

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: (أَنَّ رَسُولَ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ «إِذَا صَافَحَ الرَّجُلُ لَمْ يَنْزِعْ يَدَهُ مِنْ يَدِهِ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يَنْزِعُ يَدَهُ، وَلَا يَصْرِفُ وَجْهَهُ عَنْ وَجْهِهِ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يَصْرِفُ وَجْهَهُ عَنْ وَجْهِهِ)[1]، وتجد من الناس من يشيح بوجهه، من ينفض يده من مصافحه، من يتصدد عمن يريده بأمر من الأمور.

وعن عائشة قالت: (وَاللهِ مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ امْرَأَةً لَهُ قَطُّ، وَلَا خَادِمًا لَهُ قَطُّ، وَلَا ضَرَبَ بِيَدِهِ شَيْئًا قَطُّ، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللهِ)[2]، وعن أنس قال: (كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الحَاشِيَةِ»، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً، حَتَّى «نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ رَسُولِ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ البُرْدِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ»، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللهِّ الَّذِي عِنْدَكَ، «فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ ضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ)[3].

انظروا إلى فظاظة هذا الأعرابي، في القول وفي الفعل، في الفعل جبذه جبذة شديدة حتى أثرت في عاتقه، وفي القول بمخاطبته بهذه اللغة الجافية، يا محمد، لم يقل يا رسول الله، ثم يقول له بصيغة الأمر: مر لي من مال الله الذي عندك، وكأن في الكلام ما يوحي بأنك قد أمسكت! فمر لي بشيء.

ماذا لو جرى مثل هذا لأحدنا، لو أن صبيك الصغير جبذ شماغك فوقع في الأرض

---

١ أخرجه الترمذي- (٢٤٩٠)، وابن ماجه- (٣٧١٦)،وقال الترمذي: حديث غريب، وقال الألباني (في ضعيف سنن الترمذي له- ج١- ص ٢٨٤، ضعيف إلا جملة المصافحة فهي ثابتة).

٢ أخرجه النسائي في الكبرى- (٩١١٨)، وأحمد- (٢٥٩٢٣)، قال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

٣ أخرجه البخاري- (٥٨٠٩)، ومسلم- (١٠٥٧).

أو سقط ما على رأسك أو نحو ذلك، أدع الجواب لكم، لكن ماذا فعل رسول الله ﷺ؟ ضحك، ثم أمر له بعطاء! موقف يستدعي أن يتغيظ الإنسان ويغضب من سوء الأدب الذي طاله، لكنه ضحك؛ لأنه استوعب الموقف وعرف طبيعة هذا الأعرابي، وأنه على هذا نشأ، فلم يحمل الأمر على قصد الإساءة أو غير ذلك فتجاوز الموقف.

وعن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: « مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللهَّ لَيُبْغِضُ الفَاحِشَ البَذِيءَ »[1]، يبلغ الإنسان بحسن الخلق، درجات عالية، والفاحش البذيء، من الناس: من لسانه نتن، لا يتحدث إلا بما تحت السرة أو بالسباب والشتم والقذف، يدخل وهو يلعن ويخرج وهو يلعن، يتكلم بلغة سوقية.

وهذا لا يختص بالحديث المباشر، بل يدخل فيه ما يوجد الآن في الوسائط الالكترونية من الحديث الساقط الهابط الذي تقشعر منه النفوس ويثير الغثيان، فما أشد انطباق هذا الوصف النبوي على عدد من الناس الذين ابتلوا بهذه الخصلة الذميمة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: « سُئِلَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الجَنَّةَ، فَقَالَ: «تَقْوَى اللهَّ وَحُسْنُ الخُلُقِ»، وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ، فَقَالَ: «الفَمُ وَالفَرْجُ»[2].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ »[3]، هذه نبذة يسيرة دعا إليها الحديث عن قول الله تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيم} [القلم:٤].

---

١ أخرجه أبو داود- (٤٧٩٩)، والترمذي (٢٠٠٢)، وقال: حديث حسن صحيح.

٢ أخرجه الترمذي- (٢٠٠٤)، وابن ماجه- (٤٢٤٦)، وأحمد-(٧٩٠٧)، وقال الترمذي: حديث صحيح غريب. وحسن الألباني إسناده- (في السلسلة الصحيحة- ٩٧٧).

٣ أخرجه أبو داود- (٤٧٩٨)، وأحمد- (٢٤٣٥٥)، والحاكم- (١٩٩)، وقال: هذا حديث على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، وشاهده، صحيح على شرط مسلم.